

## إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين (١٩٠٠

### إلى ١٩٥٠ م) - البعثات الجزائرية الى جامعة الزيتونة أنموذجا

الأستاذ عبد الرزاق عطلاوي جامعة محمد بوضياف

#### الملخص

تعد البعثات العلمية حلقة مهمة من حلقات العلم والتعلم، وهذا لارتباطها بعملية طلب العلم والاستزادة منه والتبقر فيه ولا أدل على هذا من أن الكثير من المجتمعات حرما حقيهم في الاستزادة منه جزاء ما مورس عليهم من سياسة القهر والتسلط والتجهيل والتعتيم ، أو فقدان أسباب وسبل التعلم و المعرفة ، في مرحلة كانوا في أمس الحاجة إليهما ...

فكان من الضرورة بمكان تحقيق تعليم عال يقوم على أسس صحيحة يكون له دور محوري في النهوض بالمجتمعات الانسانية ويساهم في اصلاحها ، ولنا في البعثات العلمية التي أشرف عليها رجال الاصلاح في الجزائر أو جمعية العلماء المسلمين أو جبهة التحرير الوطني نموذجا رائدا في مجابهة مختلف مشاريع التجهيل والتعتيم ...

فإلى أي مدى ساهمت هذه البعثات العلمية في تكوين كفاءات علمية كانت ولايزال دورها مهم في النهضة

المجتمعية والانسانية ؟

وهوما حاولت الإجابة عنه من خلال الورقات البحثية التي ضمنتها في الخطة التالية :

- مقدمة
- السياق التاريخي للبعثات العلمية الجزائرية بين (١٩٠٠ إلى ١٩٥٠ م)
- البعثات العلمية للعلماء والطلبة الجزائرية نحو جامعة الزيتونة .
- دورها في النهضة العلمية الفكرية الجزائرية .
- خاتمة .

#### تمهيد

مثلت البعثات العلمية حلقة مهمة من حلقات العلم والتعليم في الجزائر مع بداية القرن العشرين، وهذا لارتباط البعثات العلمية بعملية طلب العلم والاستزادة منه والتبقر فيه، ولا أدل على هذا من أن الجزائريين كانوا قد حرما من حقيهم في الاستزادة منه وذلك جراء ما مورس عليهم من سياسة القهر والتسلط والتجهيل والتعتيم، فكان من الضرورة بمكان تحقيق التعليم العالي، وذلك بالتواصل مع مختلف الحواضر التي تحقق الغاية المنشودة للجزائريين، يقول عبد الله ركيبي (( إن دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل، بل أجيالا قبلنا تهدف إلى أن تتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية، خاصة

وأن التعليم المتوسط والثانوي لم يكن بالعربية، ولكنه كان بالفرنسية، ونحن أبناء الشعب من يعيش منا في الريف أو القرية لا فرصة له ليواصل تعليمه بعد الابتدائي....<sup>(1)</sup>.

### السياق التاريخي للبعثات العلمية الجزائرية بين (١٩٠١ إلى ١٩٥٦ م)

شهدت الجزائر منذ مطلع القرن العشرين (٢٠ م)، بعثات طلابية توجهت بصورة رئيسية إلى المناطق المجاورة كجامع الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب، كما توجهت بعثات أخرى نحو البلدان المشرقية والغربية كفرنسا، وكان يحذو هؤلاء الطلبة المهاجرين رغبة في استكمال دراستهم العالية بعد أن أتموا تعليمهم الثانوي<sup>(2)</sup> رغم ما كان يواجههم من ظروف قاسية وشاذة في سبيل رحلاتهم وهجراتهم العلمية<sup>(3)</sup>، إلا أنهم ما كانوا يلبثون في البلدان أو الحواضر التي يقصدونها إلا ويعودون إلى وطنهم بعلمهم، وعن تشجيع البعثات العلمية كتب البشير الإبراهيمي: (( كما كان من آثار ذلك التعليم المثمر الذي خاضته جمعية العلماء أن أنشأت الرغبة بشباب الأمة في الاندفاع إلى العلم والرحلة في طلبه حيث ما كان فرحل المئات منهم... وجمعية العلماء هي التي أنشأت هذه الرغبة المتأججة في نفوس الشباب))<sup>(4)</sup>.

ورغم ما شاب حركة التربية والتعليم الوطنية في خمسينات القرن العشرين من إغلاق لمعظم المعاهد والمدارس ومطاردة العلماء والمدرسين والمعلمين، إلا أنه كان من عمل على المحافظة على هذا النوع من النضال في الحقل التربوي والتعليمي، وتشجيع الشباب للرحلة للتزود بالعلوم والمعارف عبر مختلف الجامعات العربية والأوروبية، استعدادا للمستقبل الواعد<sup>(5)</sup>، كما كان لجهة التحرير الوطني هي الأخرى مسعا لفتح أبواب معاهد وجامعات بلدان أوروبية وأمريكية للطلاب الجزائريين، خاصة بعد إعلان إضراب ١٩٥٦ م من طرف طلبة الجزائر وفرنسا، ونجحوا في مسعاهم بأن تحصل المئات من الطلبة الجزائريين على منح دراسية في مختلف التخصصات، وكانوا النواة الأساسية لحركة التربية والتعليم في الجزائر غداة تحررها من الاستعمار نهائيا عام ١٩٦٢ م<sup>(6)</sup>.

### البعثات العلمية للعلماء والطلبة الجزائرية نحو جامعة الزيتونة

على اعتبار أن منطقة المغرب العربي لها ارتباط جغرافي وتاريخي وبشري وثيق فكان من الطبيعي أن يحدث تواصل بين مختلف نشاطات أقطارها، خاصة مع تعلقها بالوعي واليقظة والفكر والثقافة، وهذا نظرا للمصير المشترك الواقع تحت سلطة الاحتلال، وما عزز من أواصر التواصل هي البعثات العلمية التي كانت تُشدّ نحو تونس والمغرب لكونهما حاضرتين ثقافيتين نفيستين، كان لهما الأثر البالغ في المغرب العربي منذ تأسيسهما ولغاية الفترة التي بصدد الدراسة.

- (١) خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة - ١٩٠٠ - ١٩٥٦ -، ج١، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٢٩٨.
- (٢) أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، (د- ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ص ٢١٦.
- (٣) عمار هلال: الطلبة الجزائريون إبان حرب التحرير ١٩٥٤، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٦٨.
- (٤) خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة - ١٩٠٠ - ١٩٥٦ -، ج١، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٢٩٩.
- (٥) يحي بوعزيز: "أوضاع التعليم في الجزائر خلال الثورة (١٩٥٤-١٩٦٢)", الهداية، ع ١٦٠٤، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، مارس -أفريل ٢٠٠٤، ص ٧٩.
- (٦) نفسه، ص ٨٠.

### تونس (جامع الزيتونة)<sup>(7)</sup> :

يكاد يجمع أغلب المؤرخين على أن وجهة الجزائريين في رحلة طلب العلم كانت أهمها إلى تونس، لا سيما بعد أن تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي عام 1830م، وبعد أن سدت أبواب المعرفة<sup>(8)</sup> وما يكاد يذكر علما مرموقا في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين في المجال الأدبي أو العلمي أو الفكري أو السياسي إلا وكان قد نهل من الزيتونة أو المعاهد التابعة لها<sup>(9)</sup>، وهذا لكونه كما يصفه شارل أندري جوليان إحدى القلاع الحامية للدين والتقاليد والسنة بإفريقيا الشمالية بأسرها<sup>(10)</sup>، كما ساهم في تكوين نخبة كبيرة من المثقفين ورجال الإصلاح وزعماء الحركة الوطنية الجزائرية<sup>(11)</sup>.

### 1 - أهمية جامع الزيتونة للطلبة الجزائريين :

يعد جامع الزيتونة منارة أضاءت بنورها سماء بلاد المغرب العربي، كما شكل في أهميته التربوية المرتبة الثانية بعد جامع الأزهر، وقد ارتحل إليه المسلمون من الأقطار المغاربية والإفريقية لينهلوا من منابع فيضه في شتى العلوم وأصول الدين<sup>(12)</sup>، وقد كانت علاقة الجزائريين به وطيدة موهلة في القدم، حيث احتضن العديد من الطلبة الجزائريين الذين شغفوا بطلب العلم<sup>(13)</sup>، ولم يكتف الجزائريون بأن تعلموا ونهلوا من جامع الزيتونة ومدارسه بل إن شغفهم وتفوقهم مكن الكثير

(7) إختلف المؤرخون التونسيون في مؤسس جامع الزيتونة، وأرجح تلك الروايات أن الذي أسسه عبيد الله بن الحبحاب سنة 114هـ، وذكرت رواية أخرى أن الذي أسسه حسان بن النعمان، وهو ما ذهب إليه عبد الرحمان بن خلدون و أبو عبد الله البكري وابن عذارى المراكشي، ويرجح أن بنائه كان في سنة 116هـ، -735م غير أن هناك من يجمع بين الروايتين، وهو ابن دينار، فيقول أن حسان هو الذي فتح تونس و بنى بها مسجدا، وعبيد الله بن الحبحاب زاد في ضخامته، وقد أسس جامع الزيتونة على أن يكون محل عبادة، ولما كان المسلمون في العصور الأولى يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشؤون التي تنافي ما يجب البيوت من الاحترام. وقد صار جامع الزيتونة محلا للتعليم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضيعها وأنواعها، وابتدأ تنظيمها إلى ابتداء الدولة الحفصية سنة 603هـ، ثم اخذ التعليم طابع النظامية مع تولي الملك أبو العباس أحمد باشا حين أصدر أمرا بتنظيم التعليم فيه سنة 1842م، وتضمن تعيين عدد المدرسين وألزمهم بالتدريس اليومي مع ضبط المرتبات وتكوين موارد قارة من ميزانية الدولة، إلى أن صار حاضرة ومقصد العلماء والطلبة يقصده الطلبة من كل حدب وصول. أنظر: عبد الرحمان بن خلدون: المرجع السابق، ج4، ص 241. أنظر أيضا: أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د-ت)، ص37. أنظر أيضا: ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح ومر: كولان وبرو فنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 51.

أنظر أيضا: محمد المختار محمود: " جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها نجاحا " المجلة الزيتونية، ج 2، م 2، العدد 57، المطبعة التونسية، تونس، نوفمبر 1937، ص 50-53.

(8) محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر 1945-1962، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص 39.

(9) رايح فلاح: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 31.

(10) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 87.

(11) عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، 1899-1983، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007م، ص 25.

(12) خير الدين شترة: المرجع السابق، ج 2، ص 881.

(13) نفسه، ص ص 881-882.

منهم من أن يصبحوا فيما بعد أساتذة ومدرسين<sup>(14)</sup>، وفقهاء وفلاسفة وشعراء ومصالحين وفي مقدمتهم مطلع القوى العشرين (م ٢) عبد الحميد بن باديس أحد نوابغ الزيتونة ورائد الدعوة العربية الإسلامية في الجزائر<sup>(15)</sup>.

وعن أهميتها بالنسبة للجزائريين يقول علي مغربي<sup>(16)</sup>: ((وكانت الزيتونة المباركة لأبناء الجزائر الأم الرؤوم، يوم ابتلوا بعدو لا يرحم، هدم المساجد وأغلق المدارس والمعاهد وحارب دين الأمة ولغتها بعدما جردها من عزتها ودولتها، ففتحت تونس صدرها للرحب لأبناء الجزائر كي ينهلوا من معينها القوي جامع الزيتونة))<sup>(17)</sup>.

ويذكر محمد السعيد الزاهري: (( أن جامع الزيتونة كان أشبه بخلية النحل في ذلك العهد الزاهر، يشتهر بأكثر من شخصية علمية وأدبية تشد الرجال من الأقاليم، وكانت أمهات الكتب العربية هي المورد الذي تلتف حوله الحلقات، فكان الجامع بذلك إلتفاته وفيه للتاريخ والتراث العربيين في أقطار ثلاثة تعاني من غزو دخيل وعدو مشترك، كما كان الجامع همزة وصل للنهضة الأدبية الحديثة في المشرق والدعوة الإصلاحية المتجاوبة في أرجائه، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب والإصلاح الديني، هذه أيضا مدينة لجامع الزيتونة فكثير من رجال هذه الحركة قد تخرجوا من الزيتونة وأحرزوا شهادتها العلمية))<sup>(18)</sup>.

ولا يمكن كذلك إنكار فضل الزيتونة على كل من درس وتخرج منه من علماء وطلبة الجزائر، وهذا لما عاده عليهم وعلى الجزائر في الدين وحفظ في اللغة وصيانة للأدب<sup>(19)</sup> ويقول عنه أحد خريجه وهو عبد الله ركيبي<sup>(20)</sup>: (( إن فضل الزيتونة علينا جميعا كان كبيرا فقد أروت نفوسنا المتعطشة إلى العلم والمعرفة، فوجدنا فيها ما حرمانا منه في وطننا وجنا العربية وأدائها وعلومها، هي محور ما يدرسه الطلبة فيها، كما وجدنا العناية بدراسة علوم الدين والشريعة وأصولها، هي قاسم مشترك بين من ضمتهم جدرانها))<sup>(21)</sup>.

(١٤) رايح فلاحى : المرجع السابق، ص ٣٢ .

(١٥) محمد صالح الجابري : التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط١، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٠م، ص ٣٣ .

(١٦) علي مغربي : ولد (بغفار) بسكرة تلمذ في كتاب البلدة عن أخيه سعيد وعمه الشيخ الحاج عكر، انتسب للزيتونة سنة ١٩٢٨م، انتخب سنة ١٩٣٣، أمينا عاما للخلية الأولى لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، تحصل على شهادة التحصيل عام ١٩٣٥، انتقل إلى شرشال سنة ١٩٣٧م، لإدارة شعون مدرسة الرشيدية إلى غاية ١٩٣٩م، ثم إلى المدارس الحرة بغيليزان سنة ١٩٤٤م، وبقي ينتقل بين هذه المدارس إلى غاية ١٩٥٢، وبعد الاستقلال عمل أستاذا بعدة ثانويات، عين سنة ١٩٦٦م عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، كما شغل عضوية عدة هيئات دولية ومحلية، كما تولى رئاسة صحيفة البصائر، له عدة مؤلفات وديوان شعر ي توفي في ١٦ جانفي ١٩٩٩م. أنظر: خير الدين شترة : المرجع السابق، ج٣، ص ٩١-٩٢ .

(١٧) نفسه، ج١، ص ٢٥٢ .

(١٨) خير الدين شترة : المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(١٩) محمد علي دبوب: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام ( 1340هـ / ١٩٢١م - ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م )، ج١، ط١، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٧٤، ص٥٧ .

(٢٠) من مواليد بسكرة، درس بجامع الزيتونة ونال منه شهادة التحصيل عام ١٩٥٤م، واصل دراسته بالقاهرة في كلية الآداب، حاز على شهادة الدكتوراه في الأدب سنة ١٩٧٢م، اشتغل أستاذا بجامعة الجزائر، كما تقلد مناصب إدارية و دبلوماسية، كان آخرها عضو في مجلس الأمة، له مؤلفات أدبية عديدة منها : ذكريات من الثورة الجزائرية، الفرانكفونية، مشرقا ومغربا . أنظر: خير الدين شترة : المرجع السابق، ج٣، ص ٤١-٤٢ .

(٢١) نفسه، ج١، ص ٢٥٤ .

وقد أنشد محمد العيد آل الخليفة<sup>(22)</sup> في بيان فضل جامع الزيتونة ووصفه بالأبوة وجعل نفسه إينا وسعه هذا الكبير بالبر والحنان، وقال أنه عاش بريقه تحت سمائه، يقتبس من ضيائه وأنه عاد إلى الجزائر يذيع رسالته ويرفع ذكره :

حبنا الأعظم فيها من أب وسع الأنبياء برا وحنانا  
قد سبحنا أمدا في أفقه واقتبسنا من دراريه سنانا  
وأذعنا من رسالات الهدى عنه كأطيب ذاكره وزانا<sup>(23)</sup>.

## ٢ - البعثات العلمية الجزائرية نحو تونس :

ابتدأ سفر الطلاب الجزائريين إلى تونس لطلب العلم في الجامعة الزيتونية، ومدارسها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان من هاجر إليها آنذاك أفراد قليلون، منهم الحاج السعيد بن يوسف اليسقني الذي رجع من تونس حوالي ١٨٧٠م، فتولى التدريس في ميزاب، ثم ابتدأت الهجرة إلى تونس لطلب العلم تكثرت في العقد الأول من القرن العشرين لتتوقف البعثات بعد الحرب العالمية الأولى حتى صارت تونس هي مقصد كل من يريد الثقافة العربية الواسعة<sup>(24)</sup>، ولقد وجد الجزائريون في جامع الزيتونة موردا عذبا في الوقت الذي افتقدوا فيه إلى معلم حضاري مثله ببلادهم، ولا يدرى إلى أي مدى، كان الطلبة الجزائريون يقصدون الزيتونة قبل احتلال تونس<sup>(25)</sup> ١٨٨٠م، والظاهر كما يشير أبو القاسم سعد الله أن دراستهم فيه كانت محدودة قبل ١٩٠٠م<sup>(25)</sup>.

ويعتبر ابن باديس من أوائل من فتح هذا العهد الجديد مع جامع الزيتونة<sup>(26)</sup>، وانتسب إليه عالم ١٩٠٠م، وأخذ العلم آنذاك عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال محمد النخلي القيرواني المتوفى (١٣٤٤هـ/١٩٢٤م)، و الخضر بن الحسين<sup>(27)</sup>، وعدد كبير من أجلة العلماء الذين درسوا بجامع الزيتونة<sup>(28)</sup>.

(٢٢) هو محمد العيد بن محمد علي خليفة، ولد بمدينة عين البيضاء بالشرق الجزائري يوم (٢٥ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ)، الموافق ل (٢٣ أوت ١٩٠٤م)، تتلمذ على يد الشيخ محمد الكامل، ابن الشيخ بن المكي بن عزوز، استقر في بسكرة حتى سنة ١٩١٨م، وفي سنة ١٩٢١م شد الرحال إلى تونس وانتسب إلى جامع الزيتونة، ومن شيوخه هناك الشيخ عبد العزيز الباوندي، والشيخ البشير النيفر، رجع إلى الجزائر سنة ١٩٢٢م لمرض طرأ عليه حيث واصل تعليمه بالجزائر، ودرس على الشيخ البشير الإبراهيمي والعقبي، يعتبر أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، وأحد أعضائها ناضل بقلمه عن القضايا الوطنية عن طريق شعره، ويفضل ما أجادت به قريحته. توفى يوم الأربعاء رمضان ١٩٣٣هـ، الموافق ل ٣١ جويلية ١٩٧٩م. أنظر: محمد بن سمية : ((محمد العيد آل خليفة الصوفي المصلح))، ملتقيات الفكر الإسلامي - محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ج٣، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٧٨١ وما بعدها .

(٢٣) خير الدين شترة : المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٤ .

(٢٤) نفسه، ج٢، ص ص ٨٩٧ - ٧٩٨ .

(٢٥) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج٥، ط٦، دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر - ٢٠٠٩، ص ٤٩١ .

(٢٦) نفسه، ج٥، ص ٤٩١ .

(٢٧) الخضر بن حسين : هو محمد الخضر بن علي بن عمر، ولد بنفطة يوم (٢٣ جويلية ١٨٧٣) ببلدة نفطة (بتونس)، انتقل مع عائلته إلى العاصمة سنة ١٨٨٨م، حيث أتم تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن، وبعدها التحق بجامع الزيتونة حصل منه على شهادة التطويق سنة ١٨٩٨م، أصدر مجلة (السعادة العظمى) وهي أول مجلة صدرت بتونس، قام بالكثير من الرحلات نحو مصر والشام والحجاز وتركيا، نال من الأزهري شهادة العالمية، وسمي شيخا له سنة ١٩٥٢م، من مؤلفاته : أسرار التنزيل، تونس وجامع الزيتونة الخيال الشعري ....، توفى بالقاهرة يوم الأحد ١٢٠ فيفري ١٩٥٨م. أنظر: محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص ص ١٢٦ - ١٣٢. أنظر أيضا : بلقاسم الغالي : شيخ الجامع الأعظم، محمد الطاهر بن عاشور - حياته وأثاره -، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ص ٤٠ .

هذا وقد كانت الرحلات والبعثات العلمية الجزائرية نحو تونس على أضراب ، ويظهر ذلك من خلال الآتي :

## ١٢- الرحلات والبعثات العلمية غير المنظمة :

كانت الرحلات العلمية من الجزائر إلى تونس ومدارسها إحدى السمات البارزة التي ثبتت أو أصر التواصل الثقافي والحضاري بينهما، وهذا من خلال ما وجده الطلبة والعلماء من غاية في تحقيق العلم وحب الاطلاع وتعزيز للإسلام والعربية، وتمتين لأواصر اللحمة التي فارق بينها الاحتلال، فكانت نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية القرن العشرين مرحلة مهمة في حركة الطلبة والعلماء الجزائريين نحو تونس خاصة جامعها الزيتوني (( الذي استقطب العديد من العلماء والطلبة الجزائريين ومن وجهات عديدة ))<sup>(29)</sup>.

وما يميز هذه الرحلات المبكرة أنها كانت نتيجة رغبة شخصية أو مبادرة فردية<sup>(30)</sup>، لم ترق إلى مصاف الرحلات والبعثات التي أشرف عليها مصلحون أمثال عبد الحميد بن باديس أو جمعية العلماء المسلمين خاصة مع منتصف القرن ٢٠م.

هذا ولم يكن أمر البعثات العلمية أو الطلابية نحو تونس حكرا على جمعية أو مدرسة أو شخصية بعينها وإنما شاركت فيها العديد من التيارات والمنظمات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على امتداد انتماءاتها التي تراوحت بين الاتجاه الاستقلالي الراديكالي، والاتجاه الإصلاحى المعتدل، مع إسهامات الأشخاص والمجموعات التي هي الأخرى قامت بمبادرات مميزة في هذا الباب، حيث تكفلت بعديد الطلاب الراغبين في الدراسة بتونس، ومن أمثلة ذلك، الدور الذي قام به العقيد عميروش بإرساله لبعثات طلابية اتجاه تونس، فكان دورهم التضالي على سبيل المثال جليا ومهما في خدمة القضية الجزائرية آنذاك<sup>(31)</sup> ومن هذه البعثات الرزقي الأشباني، و محمد الطاهر آيت علجت و محمد ارزقي وآخرين، وكان غرض العقيد من ذلك وهدفه، أن يعودوا إلى الوطن مسلحين بالعلم في مختلف التخصصات ليتمكنوا من خدمته كل في مجاله وهذا ما وقع فعلا<sup>(32)</sup>.

## ٢٢- البعثات العلمية المنظمة :

أخذت هذه الرحلات والبعثات طابعا تنظيميا وتزامنت مع بداية القرن العشرين (٢م)، خاصة في الربع الثاني منه، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي :

(٢٨) محمد يحي الدين سالم : ابن باديس فارس الإصلاح ، ط١، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٢ .

(٢٩) أحمد مريوش : الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير ١٩٥٤م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص ١٦٤ .

(٣٠) خير الدين شترة : المرجع السابق، ج ٢ ، ص٨٩٩ .

(٣١) خير الدين شترة : المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٩١٩ - ٩٢٠ .

(٣٢) نفسه، ص ٩٢١ .

### البعثات البادية<sup>(33)</sup> :

يعتبر الشيخ بن باديس من أوائل من فتح العهد الجديد من الرحلات مع جامع الزيتونة<sup>(34)</sup> ، بحيث كانت رحلته سنة ١٩١٨م) نحو جامع الزيتونة طلبا للعلم فاتحة هذا العهد بين القطرين الشقيقين، وبعد إتمام دراسته في تونس رجع إلى الجزائر وأخذ يتصل بطلبة العلم في قسنطينة وضواحيها يحرضهم على التوجه إلى تونس لإتمام دراستهم<sup>(35)</sup> ، ولذلك يرجع الفضل الكبير في إرسال الرعيل الأول للبعثات الطلابية والرحلات العلمية باعتبار رحلته فبعد عودته إلى الجزائر سنة واحدة فقط وبرعاية وتشجيع منه وصلت أول بعثة طلابية إلى تونس سنة ١٩١٨م، إلا أن ظروف الحرب لم تمكن الطلبة من البقاء في تونس واضطروا للعودة إلى بلادهم إلى أن وضعت الحرب أوزارها<sup>(36)</sup>.

وبعد الحرب العالمية الأولى وما تبعها من تحولات هامة في كل المجالات جعل عدد البعثات العلمية إلى الزيتونة يزداد سنة بعد أخرى، ومع نهاية الربع الأول من القرن العشرين (٢م) كانت الطليعة الأولى للبعثات البادية والتي مثلها محمد مبارك الميلي والعربي التبسي<sup>(37)</sup> والسعيد الزاهري<sup>(38)</sup> وعبد السلام القسنطيني ومحمد العيد آل خليفة .... هؤلاء الطلاب الذين مثلوا بلادهم أحسن تمثيل، وكانوا من خيرة الجنود الذين راهن ابن باديس عليهم في كسب المعركة العلمية ضد الجهل والتخلف<sup>(39)</sup> ، وكانوا السند الأساسي الذي استند إليه ابن باديس لوضع ركائز حركة علمية تربوية وإصلاحية دينية لنفض الغبار على المجتمع الجزائري وإيقاظه من سباته العميق<sup>(40)</sup>.

(٣٣) هي الرحلات التي أشرف عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ونسبت إليه كون رحلته تعتبر من الرحلات العلمية خلال تلك الفترة ، ومن نا حية أخرى كان مساهما ومشرفا على الكثير من الرحلات العلمية المغاربية والمشرقية .

(٣٤) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج٥، ص ٤٩١ .

(٣٥) خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج٢، ص ٩١٢ .

(٣٦) أحمد مريوش : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣٧) العربي التبسي : هو الشيخ العربي التبسي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات ، ولد سنة ١٣١٢هـ الموافق ل ١٨٩٥م بناحية (أسطح) جنوب غرب تبسة ، تعرف قبيلته بأحروم النموشية ( النمامشة )، حفظ القرآن الكريم وبعض المعارف ، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة (١٩١٤-١٩٢١م)، والجامع الأزهر (١٩٢١-١٩٢٧م) ، ليعود إلى أرض الوطن وينظم إلى جمعية العلماء المسلمين ، كان كاتباً عاماً للجمعية سنة ١٩٤٣م ، وعلى إثر مشاركة الجمعية في البيان الجزائري ١٩٤٣م ، ألقى عليه القبض مع نخبة كبيرة من رجال الجمعية بتهمة الاتصال بالألمان ، أطلق سراحه عام ١٩٤٥م ، بعدما فرضت عليه الإقامة الجبرية ، أعلن تأييده للثورة بعد عودته من مناسك الحج سنة ١٩٥٤م ، ولم يتخل عن ممارسة نشاطه التعليمي ، إنتقل إلى الإقامة بالعاصمة ، أين أدركت فرنسا نشاطه فتم اغتياله سنة ١٩٥٧م . أنظر: أقيس خالد : آثار العربي التبسي - دراسة فنية- ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة، ٢٠٠٧، ص٢٣. أنظر أيضا : عادل عادل نويهض : عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - ، ط٢، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت، ١٩٨٠ ، ص ٦١ . أنظر أيضا : كريمة عرعار : دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ٢٠٠٥/٢٠٠٦م، ص ١٦ .

(٣٨) هو محمد السعيد السنوسي الزاهري ، ولد بقرية (ليانة) قرب بسكر ، سنة ١٣١٧هـ ، الموافق ل ١٨٩٩م ، درس على الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة حتى أضحي صحفيا وشاعرا حصيفا ، كان من رجال الحركة الإصلاحية ، أصدر جريدة (الجزائر) سنة ١٩٢٥م ، و(البرق) سنة ١٩٢٧م ، و(الوفاق ق العربي) ، ١٩٣٨م ، و(المغرب العربي) سنة ١٩٤٧م ، له مقالات كثيرة في صحف المشرق ، ومن آثاره : كتاب (الإسلام في حاجة إلى دعاية) ، توفي سنة ١٣٧٦هـ ، الموافق ل ١٩٥٦ . أنظر:عادل نويهض : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٣٩) محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ١٩٠٠-١٩٦٢، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٣، ص ٣٦ .

(٤٠) نفسه، ص ٣٦ .

وقد توالى البعثات في اتجاه تونس وعلى الأخص جامع الزيتونة وبتنظيم أفضل<sup>(41)</sup> حيث لم تقتصر على طلبة الشرق الجزائري فحسب ، بل مست العديد من جهات الوطن<sup>(42)</sup> هذا وقد كانت الدفعات الأولى التي أرسلها ابن باديس نحو الزيتونة تعاني مشاكل جمة بعد وصولها واستقرارها، حيث كان أفرادها مشتتتين وغير متمرسين بالأعمال التنظيمية تنخرهم الحاجة والفاقة، وتشيد بهم الغربية ويعوزهم قلة الوعي وصلابة القيادة، وهذا ما دفع بالجمعية إلى إرسال البشير الإبراهيمي لتفقد أحوالهم والعمل على حل مشاكلهم، وذلك سنة ١٩٣٤م ،

(( فاجتمع بالطلبة وأدرك أن الأوان قد آن لجمع هذا النشأة، وتحويلها إلى قوة مؤثرة تلعب دورها الموسوم في حركة النضال الوطني الجزائري ))<sup>(43)</sup>.

وفعلا نظمت الجمعية صفوفهم وجمعت شملهم ووحدت تفرقهم، ووفرت لهم تنظيما قانونيا ليمارسوا العمل المنظم من خلاله، وتأسست جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين سنة ١٩٣٤م<sup>(44)</sup>، ويزورهم فيما بعد الشيخ ابن باديس سنة ١٩٣٨م فيلقى ترحيبا واسعا لدى التونسيين والزيتونيين عامة والطلبة الجزائريين خاصة<sup>(45)</sup>.

وكانت آخر البعثات التي هيأها ابن باديس، تلك التي صادفت قيام الحرب العالمية الثانية حيث تعطلت أغلبها مع انقطاع العلائق، ثم موت الشيخ سنة ١٩٤٤م فاكتفت الجمعية بإرسال بعثة واحدة تكفل بها ( الحاج محمد بن دمق) وضمت : الطيب العلوي، وعبد العزيز قروف، ومصطفى بوغابة، ومعمار بوقصة، وعمار بن علاء .

وقد تجاوز نشاط ابن باديس مجرد قيامه بتجهيز البعثات ومد الجسور العلمية المقطوعة عن تونس والزيتونة، إلى تجنيد كل الجزائريين المهاجرين والاتصال بهم خلال زيارته لتونس، وتبصيرهم بمجريات الأمور في الجزائر والإشراف على جمعياتهم وتكثيل جهودهم من أجل جزائر الغد<sup>(46)</sup>، كما لم تخل مرحلة من مراحل الشيخ بجلال الأعمال، والتأثير في البلاد التونسية التي كانت بالنسبة إليه مصدر إشعاع حضاري وعلمي إتجه إليه ووجه تلاميذه مدة تفوق عقدين من الزمن، ومن وجهة نظر ابن باديس، فالعلم ليس منبعه الشرق كما يذهب إلى ذلك البشير الإبراهيمي وغيره من الجزائريين الذين تعلموا بالمشرق العربي، وإنما العلم منبعه تونس<sup>(47)</sup>، وهذا ما يدل دلالة واضحة تعلق ابن باديس بالتعليم الزيتوني وتأثره به رغم

(٤١) علي مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر - بحث في التاريخ الديني الاجتماعي ( ١٩٢٥ - ١٩٤٠ )، تر: محمد يجياتن ، (د- ط)، دار الحكمة ، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٦٤ .

(٤٢) محمد صالح الجابري : التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط١، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٠م، ص ١٠١ .

(٤٣) عبد الرشيد زروقة : جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٩١٣ - ١٩٤٠)، ط١، دار الشهاب ، لبنان، ١٩٩٩، ص ١٧٦ .

(٤٤) تأسست جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين في ٢٠ جويلية ١٩٣٤م ، وانتخب مجلسها الإداري برئاسة الشيخ المهدي البحائي، وهو أحد الطلبة المجددين الذين تشبعوا بالمبادئ الدينية والوطنية ، أما الرئاسة الشرفية فكانت للشيخ مختار بن محمود ، وهو من كبار علماء الزيتونة ، ويذكر هلال أن أول من تولى رئاسة هذه الجمعية هو الطالب بن بوزيد الأغواطي ، غير أن هناك بعض المصادر التاريخية تشير إلى أن عناصر أخرى ساهمت في ميلادها ، مثل الشيخ بورنان بن نصر الدريدي الميلي ، وقد كانت لها نشاطات فكرية مكثفة ، وتشرف على استقبال الطلبة الجزائريين ، والاحتفال بتخرجهم ، وقد أسندت آنذاك رئاسة لجنة الطلبة للشاذلي الملكي، الذي كان ناجحا للغاية ، إلا أنه مع بداية السنة الجامعية ١٩٣٧م قدم المكتب استقالة جماعية بعد عقد الجمعية العامة في ٢١ أكتوبر ١٩٣٧م . أنظر: أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي : " جمعية الطلبة الجزائريين بتونس " البصائر، العدد ٤٤، ٢٠ نوفمبر ١٩٣٦، ص ٥٥٣ . أنظر أيضا: أحمد مريوش : المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٩٣ .

(٤٥) عبد الرشيد زروقة : المرجع السابق، ص ١٧٦ .

(٤٦) خير الدين شترة: المرجع السابق، ج٢، ص ٩١٢ .

(٤٧) خير الدين شترة : المرجع السابق ، ج٢، ص ٩١٢ .



بعض المؤاخذات عليه، إلا انه يبقى في الأخير القاعدة التي رسمت ملامح التصور الإصلاحي الجزائري، كمنهج فريد سار عليه الكثير من الرواد المصلحين الجزائريين، نضجت ثماره في مرحلة كانت الجزائر خلالها في حاجة ماسة إلى قاعدة جماهيرية تقوم على الدين الإسلامي كمنهج في الحياة، لأمة أرادت الثبات دون الممات، وبوطنية جزائرية أرادت الاستقلال سبيلا للنجاة

### الرحلات والبعثات الميزابية<sup>(48)</sup>:

تعد الرحلات والبعثات العلمية الميزابية من الرحلات التي أخذت هي الأخرى طبيعة تنظيمية، وهذا لانتظامها من ناحية، وإشراف الكثير من المشايخ الميزابين عليها، لضمان نجاحها، ومن ناحية أخرى استمراريتها في التوافد نحو تونس رغم الصعاب التي كانت تكتنفها خلال هذه المرحلة، وعلى هذا الأساس اعتبر الكثير من الباحثين في هذا الشأن أنها كانت من الرحلات الزيتونية المنظمة.

وعلى العموم فإن أولى البعثات نحو تونس والزيتونة بصرف النظر عن زمانها، كانت بقيادة الشيخ إبراهيم طفيش<sup>(49)</sup>، وضمت في عدادها خيرة أبناء منطقة وادي ميزاب حينها، أمثال: أبو اليقظان، صالح بن يحيى، مفدي زكريا، سليمان رمضان حمود عبد العزيز الثميني، وآخرين.

وهناك من ذهب إلى اعتبار وادي ميزاب أسبق النواحي كلها في إرسال البعثات العلمية المنظمة إلى تونس، حيث بلغ تلاميذه في تونس بعد الحرب العالمية الأولى المئات، والكثير منهم كانوا في الزيتونة، وزاد عدد العلماء الذين تكونوا في الجامعة الزيتونية عن المائة، على خلاف المثقفين والصحفيين<sup>(50)</sup>.

ومن أهم البعثات في هذا الباب خلال هذه الفترة، رحلة أبو اليقظان نحو تونس، والتي كانت سنة 1911م، ولعله عاصر بعض الوقت هناك عبد الحميد بن باديس كما يقول أبو القاسم سعد الله، والذي سبقه إلى الزيتونة ببضع سنين<sup>(51)</sup>، وقد كانت أول بعثة ميزابية باتجاه تونس سنة 1911م، وكان أبو اليقظان من بين أفرادها<sup>(52)</sup> ورئيسها، وربما كانت قد تأثرت البعثة بالحرب العالمية الأولى إلا أنها استأنفت نشاطها العلمي بعد 1921<sup>(53)</sup>.

٤٨) وهي الرحلات والبعثات العلمية التي كانت قاعدتها ومنطلقها منطقة وادي ميزاب في الجنوب الجزائري، وبغض النظر عن زمانها ومكانها، فقد كانت ذات مردود جم على المنطقة وسكانها كونها حازت الكثير من الفقهاء والعلماء، مثل الشيخ إبراهيم اطفيش، والشيخ بيوض، وقد ارتبطت ارتباطا وثيقا مع بداية القرن العشرين بالزيتونة، الذي أصبح جامعة منقطعة النظير بالنسبة إليهم، كما كانت مرتع الكثير من الرحلات والبعثات الميزابية.

٤٩) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد إبراهيم بن يوسف اطفيش، ولد في قرية بني يزقن بوادي ميزاب عام 1305هـ، الموافق لـ 1888م، درس على الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ولازمه، وبعد وفاته سنة 1914م، انتقل إلى جامع الزيتونة حتى صار عالما وأديبا ومن كبار العاملين في سبيل وحدة المسلمين، شارك في الحركة الوطنية التونسية بزعامة الشيخ عبد العزيز الثميني، نفي إلى مصر أواخر سنة 1923م، وأنشأ فيها مجلة (المنهاج)، كما عمل في دار الكتب المصرية، كان له الفضل في تأسيس أول مكتب سياسي لدولة عمان في القاهرة، له الكثير من المقالات، توفي بالقاهرة سنة 1385هـ الموافق لـ 1965م. أنظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص 19.

٥٠) خير الدين شتر: المرجع السابق، ج ٢، ص ص 921-922.

٥١) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٥، ص 291.

٥٢) خير الدين شتر: المرجع السابق، ج ٢، ص 922.

٥٣) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٥، ص 291.

ثم سافرت بعثة أخرى إلى تونس برئاسة محمد الثميني سنة ١٩١١ م، وأخرى برئاسة الحاج الصالح بن باعلي، فأصبحت في تونس ثلاث بعثات ميزابية في وقت واحد، وتواصلت البعثات المزابية إلى تونس بين الحربين حيث كانت النتائج العلمية ومشاركة المزابيين في الحياة السياسية بتونس والمساهمة في الحياة الأدبية، كل ذلك جعل سير البعثات العلمية يزداد تدفقا<sup>(54)</sup>.

وبتأسيس معهد الحياة في ميزاب أينعت ثمار البعثات التي كان يشرف عليها المعهد وبدا صلاح طلابه في المجال العلمي والتربوي، واستمرت البعثات الميزابية خلال السنوات ١٩٤٣-١٩٤٤ م، وسنة ١٩٤٤ م في عهد الشيخ بيوض عندما أرسل طلبته أفواجا كثيرة إلى تونس، حيث نجحت بعثاته إلى تونس وصار طلابه في مقدمة الصفوف ومن أوائل المتفوقين<sup>(55)</sup>. وما يمكن الإشارة إليه هنا هو أن الرحلات والبعثات الميزابية الزيتونية قد أتت أكلها في خلال هذه الفترة وذلك من خلال الأثر الناتج عنها في المجال العلمي التربوي الإصلاحي وإسهاماتهم في مسيرة النضال الوطني لبعث الشخصية الوطنية الجزائرية

### ٣ - دورها في النهضة العلمية الفكرية الجزائرية

لقد كان للرحلات والبعثات العلمية الجزائرية الزيتونية في الفترة المعاصرة دور مهم وبارز وهذا لجلاء أثرها على الحراك الذي كانت تشهده الساحة الجزائرية وعلى جميع أبعدها فكانت إسهاماتها من أهم العوامل التي سارعت على بعث الوطن الجزائري في مرحلة كان فيه أبناء الجزائر في حاجة ماسة إلى مثل هذه الروافد الإصلاحية، خاصة مع تعلق منها بجامع الزيتونة، لأن هناك من اعتبر أن (( حركة الإصلاح في الجزائر انبثقت وقامت واعتمدت أساسا على خريجي معهد الزيتونة ))<sup>(56)</sup>، وتوثقت بالتواصل بينها وبين معهد بن باديس الذي كان أحد فروعها.

ولقد كان للرحلات والبعثات العلمية الزيتونية دور رسالي حضاري هام وكبير في الأمة الجزائرية، تربية وتدرسا وتعلما وتوجيها، سواء في فترة دراستها وتحصيلها العلمي أو بعد تخرجها وعودتها إلى الوطن، واستقرارها تفرغا للعمل الإصلاحي والتعليمي<sup>(57)</sup>.

ومما لا شك فيه أن طور الرحلة والبعثة العلمية هو الذي ساهم في الحفاظ على ما للجزائر من تراث زاخر بأسماء الأعلام والمؤلفات، وهو الذي أبقى الجذور متقدة في نفوس الأجيال الصاعدة، الذين ترسموا خطى الآباء في اتجاه جامع الزيتونة (( إن طور الرحلات و البعثات العلمية التي قادها ابن باديس لم تكن استمرارا أو تمثيلا لمرحلة سابقة فقط، بل كانت أيضا طورا من البعث والإحياء وإعادة الجسور المقطوعة، وتمركزت الجهود خلاله على تنظيم هجرات جماعية ذات أهداف محدودة لا تتعدى الدراسة ثم العودة إلى الجزائر لمباشرة مهمة تعليمية وإصلاحية، فإلى هذه البعثات يعود الفضل في صهر جميع الخلافات التي أراد المستعمر بذرها بين المناطق إثارة للفتنة ))<sup>(58)</sup>.

(٥٤) خير الدين شترة: المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٩٢٣-٩٢٤.

(٥٥) نفسه، ص ص ٩٢٤-٩٢٥.

(٥٦) محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ١٩٠٠-١٩٦٢، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٥٧) عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٥٨) خير الدين شترة: المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٩٢٦.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن ما شهدته الجزائر مطلع القرن العشرين ونصفه من أثر البعثات العلمية العائدة إلى الجزائر قد ساهم بصفة مباشرة في استيعاب الكثير من الأفكار التحررية والقومية الوطنية، والتي كانت مبادئ ومنطلقات للحركة الوطنية الجزائرية .

#### خاتمة

ومن جملة ما توصلنا إليه من خلال هذه الدراسة ما يلي :

أن التواصل الذي كان يتم في إطار البعثات العلمية سواء المغاربية منها أو المشرقية مثل جسرا روحيا وفكريا وثقافيا بين مختلف الأقطار العربية، ويقدر ما كانت مختلف المراكز العلمية كالزيتونة أو كالأزهر حواضر فقد كانت حاضنة للعديد من العلماء والطلبة والجزائريين الذين شغفوا بطلب العلم، كما لم يكتفوا بأن تعلموا ونهلوا من جوامعها ومدارسها، بل إن شغف الكثير منهم مكثهم من أن يصبحوا فيما بعد أساتذة ومدرسين وفقهاء وفلاسفة ومنظرين ومصلحين، خاصة مع مطلع القرن العشرين حين بزغت نخبة من العلماء والمرشدين أمثال الشيخ العربي التبسي والسعيد الزاهري وعبد السلام القسنطيني والبشير الإبراهيمي، فكانوا طلائع وسندا ارتكزت عليهم الحركة العلمية والتربوية والإصلاحية، كما شكلوا بدورهم طبفا مضيئا أثار درب الجزائريين من ظلام الجهل والحاقدين بعد أن أرخى سدوله على أمل وأفق الطامحين من الجزائريين .

أن الرحلات والبعثات العلمية نحو مختلف الحواضر و مراكز التعليم ورغم تنوع منطلقاتها واختلاف وجهاتها، فقد ساهمت في بلورة الوعي الوطني بالجزائر وخارجها، كأثر أنشطة الطلبة الجزائريين أثناء تواجدهم بالمغرب وارتباطهم الوثيق بشؤون وطنهم وقياداتهم النضالية، ودور حركة الانتصار التي كانت تبعث لهم المنشائر وتوزعها على الطلبة لبعث الوعي الوطني، ودور الرحلات العلمية الميزابية في تونس ومساهمة فاعلمها في الساحة الأدبية التونسية ومشاركتهم في الحياة السياسية، مما جعل سير البعثات العلمية يزداد تدفقا وأثرا خاصة مع تأسيس معهد الحياة في ميزاب خلال عهد الشيخ بيبوض حتى صار طلابه في طليعة الطلبة المتفوقين في تونس، وهكذا ساهمت الرحلات العلمية نحو مختلف مراكز التعليم في بعث الوعي الوطني بحيث أخذت بعدا دينيا وثقافيا ثم سياسيا لتشكل نسقا تنظيميا مع مختلف التيارات السياسية النضالية في الجزائر لتكون في مرحلة من مراحل النضال الوطني أحد المنطلقات المهمة في مسار العمل الثوري من تاريخ النضال الجزائري .

أن ما حمله العلماء والطلبة بعد عودتهم إلى أوطانهم من مبادئ وأهداف كمنهج للإصلاح عملوا على المحافظة عليه والمكابدة من أجل ترسيخه ونشره من خلال وسائلهم التي خضعت للظروف المناطة بهم، بل أضيفت وسائل أخرى كانت غالبا ما تتزامن والمناسبات، ومنها على سبيل المثال، المقابلات أو إرسال البعثات، وكلها وسائل ساهمت في تطوير الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، كما لم يكونوا بمنأى عما يحدث في البلدان العربية في ظل الارتباط الوثيق الذي كانت تغذيه بعثات الطلبة الجزائريين نحو مختلف المواطن والحواضر.

لم يكن أمر البعثات العلمية أو الطلابية حكرا على شخصية أو جمعية أو مدرسة بعينها، بل شارك فيه العديد من التيارات والمنظمات على امتداد انتماءاتها وتوجهاتها وخلفياتها، كما ساهمت هذه البعثات وبصفة مباشرة في استيعاب

الكثير من الأفكار التحريرية والقومية، ومن ثمة شكلت منطلقات للحركة الوطنية الجزائرية من جهة ومسارا للعمل الثوري من جهة أخرى في تاريخ النضال الوطني الجزائري خلال هذه الفترة .

ساهمت البعثات العلمية في تعزيز علاقات الطلبة فيما بينهم وبغيرهم من مختلف الأقطار من جهة، وبالعامل الثوري من جهة أخرى، ومن ذلك تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة ١٩٤٤م، الذي دعم عمل الوحدة بين دول المغرب الثلاث في الكفاح السياسي والعسكري، وربطه بما يجري في دول المشرق العربي خدمة للتحرر والوحدة، وقد استجاب الطلبة لمطالب الثورة وخدموها عن طريق الدعاية والإعلام وعقد الندوات، والتجنيد فيما بعد على أرض مصر أو غيرها من الدول، وذلك في سبيل الله والوطن من أجل تحقيق الحرية والاستقلال .

أن نتائج البعثات العلمية انتهى إلى وضع تصور مشترك لمختلف المشاريع المستقبلية في الجزائر في ميادين التربية والتعليم والإصلاح ومقاومة الاستعمار الفرنسي بين أبناء الحركة الوطنية، أثمرت فيما بعد بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة في ٠٥ ماي ١٩٣٣م والتي كان لها ولروادها الأثر الأعم في تنوير المجتمع الجزائري، وليكون خريجوها في مرحلة مهمة من النضال الوطني قادة عسكريين وسياسيين، كان لهم الأثر في الكفاح والنضال منهم محمد شعباني وعبد الحميد حوحو ، وحسين غانم وغيرهم كثير .

#### قائمة المصادر و المراجع

- ١) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، تح ومر: كولان وبرو فنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
- ٢) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج٥، ط٦ ، دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر ٢٠٠٩.
- ٣) أبو عبد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د-ت).
- ٤) أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، (د-ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥.
- ٥) أحمد بن أبي زيد قصيبة الأغواطي: "جمعية الطلبة الجزائريين بتونس " البصائر، العدد ٤، ٢٠ نوفمبر ١٩٣٦.
- ٦) أحمد مريوش : الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير ١٩٥٥م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥.
- ٧) أقيس خالد : آثار العربي التبسي - دراسة فنية -، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة منتوري ، قسنطينة، ٢٠٠٥.
- ٨) بلقاسم الغالي : شيخ الجامع الأعظم ، محمد الطاهر بن عاشور - حياته وأثاره - ، ط١ ، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.

- ٩) خير الدين شترة : الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ١٩٥٦-١٩٥٧، ج ١، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، ٢٠٠٩.
- ١٠) رابح فلاح: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (١٩٥٦م-١٩٥٧م) ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة منتوري، قسنطينة ٢٠٠٩.
- ١١) عادل نويهض : عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- ، ط٢ ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٢) عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادى، ج٣ ط١، خزانة بن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٠.
- ١٣) عبد الرشيد زروقة : جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٩٤٦-١٩٤٧)، ط١، دار الشهاب ، لبنان، ١٩٩٩.
- ١٤) عبد القادر خليفي : أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر ١٩٨٩-١٩٨٣، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧م.
- ١٥) علي مراد : الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر - بحث في التاريخ الديني الإجتماعي (١٩٤٠-١٩٤١)، تر: محمد يحياتن ، (د-ط)، دار الحكمة ، الجزائر، ٢٠٠٠.
- ١٦) عمار هلال : الطلبة الجزائريون إبان حرب التحرير ١٩٥٥، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٠.
- ١٧) كريمة عرعار : دور جال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ٢٠٠٧م.
- ١٨) محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر ١٩٤٤-١٩٦٦، ج١، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، سوريا ، ١٩٩٩.
- ١٩) محمد المختار محمود : " جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها انجاحا " المجلة الزيتونية، ج٢، م٢، العدلا، المطبعة التونسية، تونس، نوفمبر ١٩٣٣.
- ٢٠) محمد بن سمية : ((محمد العيد آل خليفة الصوفي المصلح))، ملتقيات الفكر الإسلامي - محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ج٣، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ٢٠٠٥.
- ٢١) محمد ببي الدين سالم : ابن باديس فارس الإصلاح ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٩٩.
- ٢٢) محمد صالح الجابري : التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط١ ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ١٩٩٠م.

- ٢٣) محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ١٩٦٢٩، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٣.
- ٢٤) محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1340هـ/١٩٢٢م/١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج ١، ط ١، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٧٤.
- ٢٥) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.
- ٢٦) يحي بوعزيز: "أوضاع التعليم في الجزائر خلال الثورة (١٩٦٢-١٩٦٩)", الهداية، مع ١٦، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، أفريغ، ٢٠٠٠.